

عنيزة

كما وصفها ووصف أهلها الرحالة

شارلز داوتي (Charles M. Doughty)

قبل أكثر من 130 عاما

في كتابه: رحلات في الصحراء العربية (Travels in Arabia Deserta)

ترجمة د. خالد بن صالح القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

شارلز دوتي (Charles M. Doughty)

في كتابه: رحلات في الصحراء العربية (Travels in Arabia Deserta)

زار دوتي شبه الجزيرة العربية في نهاية القرن الثالث عشر الهجري (سجل الفترة 1876-1878

م)، وكان يعرف اللغة العربية، بل إنه جمع كتابه العديد من الكلمات المحلية الدارجة التي عدل على صفة اطلاع في هذه المسألة¹.

وخلال هذه الرحلة مر بمجربة كثيرة وأقام فيها ووجد فيها أصنافاً من ثم كثير وأفرضه بعضهم مائة لثابتة وحلته. وقد وصف المؤلف كثيراً من مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة، ورغم أن ما كتبه دوتي هو أشبه ما يكون قصة غمكي ما حصل له إلا أن الباحث يستطيع أن يدخل في عمق هذه الرواية ويمطي الكثير من المعلومات النادرة وذات القيمة التاريخية خاصة لما له علاقة بالبرامات الاجتماعية والاقتصادية.

ذكر دوتي²:

¹ نشرت جامعة كامبريدج كتاب دوتي لأول مرة سنة 1888م في جزأين بمساح 600000 كلمة، وكان عند البيع الي نشرت آنذاك 500 نسخة فقط، ثم مرره جارنث (Edward Garnett) في مجلدين وعشر سنة 1908م (الناشر Duck worth تحت اسم تجوال في الصحراء العربية (Wandering in Arabia Deserta). كما تم نشره مع مقابلة كتبها لورانس (T.E. Lawrence) عام 1921م تحت اسم الصحراء العربية (Arabia Deserta). وقد أعاد جارنث سنة 1931م طباعة هذا الكتاب مختصراً في مجلد واحد تحت اسم (Passages from Arabia Deserta) وفي سنة 1989م ظهرت نسخة جديدة للكتاب نشرتها مؤسسة بلومزبري (Bloomsbury) في لندن. وظهرت في مجلد واحد حجم أعظم

في الطريق من بريدة إلى عنيزة اجتمعنا -أنا ومرافقي- وادي الرمة ، ولما وصلنا إلى عنيزة دخلنا من سور المدينة وقد سبق أن قال في مرافقي إنه سبهاقوني عندهما نصل إلى بيت أحد "خويبا" نمر عنيزة زامل. وعندما وصلنا إلى بيت هذا "الحوي" طرقت مرافقي حلقة الباب ففتحت امرأة سوداء (كان زوجها أحد خويبا زامل والذين غالبا ما يكونون من السود، وكان في نفس الوقت أحد باتمي الملحوم "نصايب" عنيزة، وذكرت أن زوجها غير موجود وأنه في سوق الملحوم.

أنزلت أمتعتي من الجمل في ساحة صغيرة معدة للجمال وانتظرت الحوي علياً صاحب المنزل الذي سرعان ما جاء إلى بيته فاقرب مني وقبلني ودعاني إلى قهوته. وكان مع علي بعض أصدقائه الذين شربوا القهوة معنا في بيته. وتجدد الإشارة إلى أن شرب القهوة مشهور في عنيزة حتى في البيوت الفقيرة. بعدما شربنا القهوة قدم لي على فطوراً جيداً وكان كريماً معي فقد جلس يأكل معي ويؤانسني. بعدما انتهينا من الأكل تعبت مع "الحوي" علي للأمر زامل... وقد مررتا بشوارع نظيفة لفتح عليها دكاكين صغيرة، ومررتا بسوق عنيزة الذي كان يعج بالبايعين والمشتريين، وكان البائعون ورواد السوق كلهم من الرجال لأن النساء تبقى في البيوت.

في الطريق إلى منزل الأمير قابلنا شخصان وجيا أحدهما علياً وقال له "أهلاً... إن هذا الرجل الغريب الذي معك نصراي". فالتفت علي نحو مستغرباً وقال: Good morrow Khawja "كود مورر خواجيا" فقلت له أنا لست خواجيا بل إنجليزي (يقول داروي) لأن الخواجيات لقب يطلق على اليهود والمسيحيين في البلدان المجاورة). وقد استغربت كيف عرفا بأنني نصراي فقال لي الرجلان: ليلة البارحة قال لنا أناس قدموا من بريدة إنك نصراي، وعندما عرف علي بوضعي قال لي هيا بنا بسرعة إلى زامل، فقال الرجلان زامل "ثم يجلس" بعد ولكن أحضر

ما ورد في الكتب الأصلية، كما أنفق هذه النسخة عمرة رائعة من الصور التي التقطها العديد من الرحالة الذين مروا بهذه البلاد وقد حملت هذه النسخة عنواناً بالعربية هو: عربيا حُرُوقاً (Arabia Deserta) تنظر الطبعة التي نشرتها مؤسسة دارعزيري سنة 1989م.

Doughty, Charles M., (1989), Arabia Deserta (With An Introduction by T.E. Lawrence, Bloomsbury Publishing Ltd, London, pp. 201-232

صيفك لشرب القهوة معنا لي بيتنا. ثم قال: نحن من جدة ونعرف هناك نصاري من كل جنس. وقد ذهبنا معهما إلى بيت كبير وسط السوق (الجلس) وصعدنا للتور الثاني من البيت حيث كانت هناك غرفة معروضة بالسجاد، وكان الرجلان من تجار عترة الذين يرددون على جنة للتجارة. وقد أراي أحدثاً بندقية "وتشستر" ولها 17 طلقة، وكان منها لحسن في حجرة، وهذه البنادق التي كانت محوزتهم لم يكونوا ليخافوا من ابن رشيد....

وبعد فترة من الوقت غاد بناها - أنا وعلي - هذين الرجلين إلى الأمير زامل الذي كان "جالساً" خارج قصره على "عتبة" من الطين مقابل سرقه القساكين. وكان هناك "عتبان" طويلتان مفروشتان بالسجاد وقد جلس زامل على أحدهما متقلداً سيمه. وكان زامل رجلاً قصيراً بدمو على علامات الذكاء، وعندما اقتربنا منه نظر إلى معدره وقام من عجلته وأخبط بيده وقال لي بلطف: اجلس. فجلست بجانبه، وقلت له لقد جئت من بريدة وأنا طبيب إنجليزي نصراني. وقد كان معي بعض الأدوية التي أوتيتها أيام شغلنا ورفع حاجبه إلي وقال: حسن، ولكن لا تذكر للناس أنك نصراني... قل لهم أنك عسكري من العثمانيين. قال زامل للحوي علي: ارجع مع خليل "الذي نسي به حاري" لمثل ذلك وعد إلي معاً بعد صلاة الظهر لشرب القهوة معي في بيتي ولكن لا تذهب به إلى السوق أو للأماكن التي يتجمع فيها الناس... رجعتا إلى البيت واجترنا سوق الانقشة، ثم مررنا بطرب سوق اللحوم، وكانت حركة البيع والشراء في سوق المدينة قائمة على قدم وساق، والناس في شغل شاغل للبرجة أن القلة منهم من لاحظنا وجودنا.. وقد اقترب رجل مني في السوق وسألني من أين أنت؟ هل أنت نصراني؟ فأجبته: نعم، فالتفت الرجل "للخوي" علي وقال لي: ماذا لو سألك يا علي أحد عن هذا الذي معك، فأجابه علي: سأقول إنه رجل غريب في طريقه للكوييت.

عيزة تدور مدينة هادئة ومريحة ويوجد فيها جميع الحاجات اللازمة لتقام الحياة المدنية. لقد اجترينا قرب المسجد الكبير المبنى بناءً جيداً قرب قصر الإمارة. وبعد صلاة الظهر ذهبنا إلى بيت زامل

الذي يقع في زقاق "سد" متفرع من "الجلس"، وغرفة القهوة عنده مفروشة بالخضف (جمع خضف) فقط. وكان معه عدد قليل من الرجال وقد جلس ابنه الأكبر عبدالله في "المحكمة" يصنع القهوة. وعندما يتكلم زامل لا يبدو عليه أنه خلق ليحكم ولكن هذه الطريقة من اللطف هي طريقة شيوخ العرب الطبيعية.

دخل علينا في "القهوة" رجل اسمه علي وجلس معنا، وعلي هذا هو عم الأمير زامل وقد ولاء في إحدى السنين الحوالي مكانه على المدينة، والآن هو نائبه علي عيزة، وهو يشغل حالياً متجارة الإبل. وقد جلس زامل يستند على مسندته أمام صيوقة، وجلس ابنه عبدالله يدخن "الباب" وهو الأمر الذي يبدو نموذجاً في الأسواق. عندما أعدت القهوة سكب الضيفات الأول لزامل، وأثناء ذلك قال زامل لعمه هذا العرب طيب قادم من دمشق ويريد أن يرسله بناءً على رغبته إلى الكويت، وقد نظر علي -عليه عمامة الزهايين- إلى نظرة حاطقة وقال: سمعت أنه مصري، هل من الممكن أن ندع عدنا نصراً بالدرة؟ عندما ذهب الجميع ومقت أنا وزامل أراي زامل ساعده وفيه آثار ضربات من الحروب التي خاضها خلال العشرين سنة الماضية وكان ساعده طبيباً وفيه حكمة وقد رأيت كثيراً مثله في عيزة. وقد قال لي إذا استطاع أحد أن يداوي ما في ساعده بعض المال.

عندما عرف الناس أنني طبيب قدم بعض المرضى لطلب العلاج، وقد قدم لي أحدهم دكاناً في السوق لأجلس فيه. فرح الحوي علي بذلك وحمل الحوي متاعه بمحس إلى هذا الدكان، وخلال الظهيرة فتحت أغل وقرحت أنني وجدت مكاناً خاصاً بي. وعندما أذن المؤذن للظهر كان الناس يهرون من عدي في طريقهم إلى المسجد الواقع في نهاية الشارع، وكانوا يذهبون إلى المسجد بمحس كما لو كانوا أصغاء الرسول. وقد أغلقت الباب علي حتى لا يقولوا لي لماذا لا أصلي. إن أهل عيزة عادة ما يهرون في بيوتهم خلال القبولة بعد صلاة الظهر، ولكن كبار أهل البلد -في مقامهم- يذهبون إلى البيوت ليشربوا فهوة الظهيرة مع أصغائهم.

لقد جاء بعض الناس -الفن ورجلوا من المسجد ومروا بقرب محلي - ليروا هذا النصراني ويشاهدوا
الآدوية التي يستخدمها، وتجد الإشارة إلى أنه كل العرب مرضى أو يتصورون أنهم مرضى أو
محمورين، وبعض أهل البلد عاطلون عن العمل وكسالى. وقد كان سكان المدينة يتصرفون معي
بطفء خاصة أن الأمير زامل أكد على الناس أن لا يريح أحد الحاج خيلاً، وكان زامل يستد في
تسميتي بالحاج على ذهاني إلى الأماكن للقنصية (القنص)، ولذلك دعاني بالحاج.

هذا وتصرف أهل مدينة عيزة حضاري، وهم يتصرفون بحرية وعزة، ويظهر الأمر وكأنه واحد
منسوب فهو يقوم بواجبه وكأنه شيخ قبيلة يحرم أبناء قبيلته.

في أثناء جلوسى بالمكان مر بقري بعض كبار أهل البلدة وأحسين من بيوت أصدقائهم واقرب
أحدهم مني وقال هل لديك معرفة بالطب - وكان هذا الشخص لطيفاً يتنمي إلى قبيلة لهم - وقد
أخذ يدي بيده وهي علامة محبة عند العرب وقال لي: هل من الممكن أن تعالج أمي المريضة فوافقت
ودعيت معه إلى بيته، ودخل هو أولاً من حوطة في الباب ثم فتح الباب لي فدخلنا إلى حجرة
"القهوة" وهي حجرة كبيرة مفروشة بالحصف الجيدة المصنوعة في الأحساء، وجدرانها منقوشة بالحقن
كأنني رأيتها في برقة، وقد كانت هناك سجادة فارسية فرشت أمام (الوجار) وهي محصنة
للصوف، وقد جلس مصلي خلف "الوجار" لصنع القهوة. هذا هو عبدالله الحسبي الذي يتحدث
من أسرة طيبة كانت فقيرة، ولكنه هو سافر من عيزة عندما كان شاباً، وقاسى الضباب حتى
أصبح من التجار المرموقين، وكانت تجارته في الفصح بالبصرة في بلاد الرافدين ولذا فهو قد عاش
بعيداً عن بلده. وعندما قابلته في عيزة كان قد ترك رعاية تجارته في البصرة لأخيه صالح، وجاء
لعيزة لقضاء عام كامل في بلده بين أهله حيث الهواء الطلق الصحي هواء الفود.

قال لي الحسبي إذن أنت إنجليزي! ولكن لماذا تقول للناس إنك كذلك. وبالثانية فقد سبق لي -
يقول الحسبي- أن ذهبت إلى بمباي في الهند التي تقع تحت حكم الإنجليز لذلك لا أسطر عندها
بقول في أنا إنك إنجليزي. لكن لا تقول ذلك للناس الجاهلة فقد يحصل لك ما لا تتوقع. لقد بدا لي
هذا بسيطاً، ولكنه غريب، فالتفت بظن أن النصراني شر وشيطان ويستحق القتل. وعلى كل

فصنف سكان هذه المدينة وهابيون، ولذلك هل أكذب ولا أقول الصدق الذي سمعت أن أقوله لي
بلدي^{٢٩} لقد قال لي الحسين: لكل من لسان يحسن ويعد بما الأعداء، وفي أحيان كثيرة الكذب
أحسن من الصدق.

ذكر لي الحسين أنه لا يجد الإنجليز حكماء دائماً، ففي المغرب التي دأرت بين عبيد وسعود أرسل
الإنجليز في الخليج مئات من أكياس الرز مرة إلى سعود وكان هذا خطأ، فعبده الوهابي كره اسم
الإنجليز كرها شديداً. قال لي الحسين: فوالله غير متفتح بما أقول! على أية حال أرجو أن لا يصبك
مكروه، لكن لن يرضى الناس في الجزيرة أن يعيش بينهم إذا علموا بمالك ولف مفوف ترسل من
مكان آخر. ذكرت للحسين أن عذبة عذرة تشو في هاذنة وأمة والناس واسموا الأتقي، وقلت له
أليس الأمر كذلك؟ فقال لي إن معظم الناس كذلك لكن الحقيقة لا. بعد حديث ودي في "قهوة"
الحسين أحسن لفرقة داخلية ثم صعدنا للشور الثاني حتى بينه الذي اشتراه قبل سنة - وكان الدور
الثاني مكون من عدة غرف، لكن معظمها ليس فيها دأع لأن الناس هنا ليس لديهم أمصة كثيرة،
والذي لديهم هو أكثر قليلاً مما لدى البدو، فكل ما في البيت يمكن أن تحمله ثلاثة جمال.

إن أسرة النوم غير معروفة في هذه البلاد العربية، فهم ينامون على الأرض والناس ذو الأحوال
المادية الجيدة ليس عندهم أكثر من فراش قطي خفيف ينامون عليه مع غطاء خفيف أيضاً. وعلى
كل فهذا البساطة في بيت الحسين وبيوت أهل عذرة بصفة عامة لا تجدها في بيت الحسين في البصرة
حيث يجلس الناس على مقاعد، وامتعتهم فيها غرف. عندما دخلنا إحدى الغرف كانت والدته
الحسيني المعجوزة تجلس على الأرض وقد غطت وجهها، فلبس الحسين وقال لأمه لقد أحضرت لك
الحكيم المذكور فتولي له ما يؤمك ودعيه يكشف على عيوبك، وقد أنزلت غطاءها برفق ثم قالت
رأسي وهذا الجنب كله يوجهني لا أفكر أن أنام منه يا ولدي. وكان عمر الحسين بمحدود الأربعين
عاماً ولذا لابد أن تكون والته كبيرة جداً ومع ذلك فقد ترددت في أن ينظر أجنبي إلى عينيها
الشاحبتين.

وبعد أن فحست عيني والذي عدنا إلى غرفة القهوة صديقين وقال لي الخنثي أمي كبيرة ومريضة وأنا أنام وأنا أراها تعاني هكذا ولذا سوف أحس براحة شديدة إذا عالجتها وشفيت. وقال لي الخنثي: أنا أعجب من أنك تظاهر في هذه البلاد بأنك إنجليزي! لكن احذر فليست كل الأيام ممان... أنا عشت مع البدو وأعرف ما لا تعرف فكن حريصاً... ولا تخف في عنيزة فعندما أرى أي خطر يتعلق بك سوف أخبرك. وسأله ماذا عن الأمير، قال لي يمكن أن تلقى زميل لكن أحياناً يغفل الزعماء من يديه إذ ما خالفه أناس كثير... لقد كانت تفوح من هذه الغرفة وطرف "القهوة" الطيبة الأخرى في عنيزة رائحة من الكرم ويهب نسيم عليل من نوافذها.

لقد كانت توجد في القهوة قرب الوجار (روضة) فيها كتب الخنثي، وقد تصفحتها جميعاً وكانت باللغة العربية وكان عنوان أحدها "انكلوبيديا البستاني (بيروت)".

لقد أخبرني الخنثي أنه سبق أن اشترى مزرعة في عنيزة فيها أشجار من النخيل وقمح، وفيها بئر ذكر الخنثي أنه يبحث عن طريقة لاستخراج مانعاً بحيث لا يحتاج إلى مساعدة الإبل، وذكر أن عنده ثمانية من الإبل لرفع ثلثاء من البئر. لقد سألت الخنثي عن عيرتي بالأخوية فذكرت له أنها ليست ضليعة فيها، ولكنه كان متأكداً بأنني على معرفة جيدة بما خاصة عندها شفي كثير من مرضاي وصنهم أمه. عندها كنا نتحدث أنا والخنثي في بيته جاء رجلان من أهل عنيزة سيد وخادمه - وكان عليهما عقلاان متحلمان كأنهما من الصمام وهذا النوع من الطفل مصنوع من صوف الإبل، وكان هذا السبد جالاً يتقل بين العراق وسوريا للبحث عن أسباب الرزق، ولكنه باع جهاله وأصبح مزارعاً مشهوراً في العمارة شمال البصرة، وهو من زبائن الخنثي الذي يعد من أكبر تجار القمح في مدينة العمارة. بعد قليل وضعت المائدة، ولما همت بالمغادرة أصر الخنثي على أن أجلس لأكل معهم، وهكذا قضيت يوماً ممتعاً في بلاد العرب....

وقد غادرت منزل الخنثي هذا وتمت في الليل عند أحمد مرضاي الفقراء لأنني لم أكن راضياً في اليوم في المكان حيث لم يكن نظيفاً. وفي الصباح جاءني أخوي علي مرسلاً من قبل الأمير زامل ليقدم لي الفطور وكان عبارة عن خبز وملح ولكنه كان سعل على أية حال - طعاماً طيباً قدم من قبل أمير

فيلتوف محبوب إلى مسيحي غريب. وقد تناولنا قهوة الصباح والفقير ثلاثتنا أنا والأمير والحوي
علي. ويتكون الفطور في عيزة سعادة- من خبز مدور حار ولكنه مر على مذاقي ولكن كما قال
في الخبيي هم لا يحسون برارته وما لأن هناك ملحاً مطعمراً مع التمتع الذي صنع منه الخبز. بعدها
تناولنا قرعاً وزبداء و"طاسة" من اللبن كانت بالحوار بحيث يشرب الإنسان منها بعد أن ينهي من
فطوره وقبل أن يقوم ليغسل يديه (يستخدم لذلك إبريق خاص وحوض حديدي). بعدما فرغنا من
الإفطار ذهبت لأجلس في دكاكي. وبعد فترة أرسل لي زامل رجلاً من لحم الغنم اشتراها "الحوي"
علي من سوق "القضاير"، ولحم الغنم في عيزة جيد. أما لحم الإبل فيشتره الناس الفقراء ورجل
الغنم من اللحم الطيب والتي تزن خمسة أو ستة أرطال تباع بما يعادل ست بنسات. وكانت تباع في
عيزة صغار العرلان التي يجلبها الدور. وغالباً ما يربوها الأهالي ليلعب معها الأطفال وكان الواحد
منها يباع بما يعادل ثمانية بنسات.

عندما كنت جالساً في دكاكي جاء رجل وطلب مني أن اغادر الدكان فصاح في وجهه الحوي علي
قائلاً إن هذا النصراني يجلس هنا يأذن زامل. ولكن هذا الرجل (الأمير علي وهو عم الأمير زامل
وفانيه) أصر على خروجي من الدكان وقال آخ ... زامل ... آخ ... الخلل محلي وأنا قلت يخرج ...
آخ ... يخرج ... يخرج ... لكن الحوي الرنجي صاح قائلاً زامل أمير عيزة فمن أنت
تسرح؟ فقال عم زامل وأنا أيضاً أمير! هذا وأظن أن الأمير علي كان قد احترمني قليلاً ولذلك
لم يوجه كلمة قاسية لي ... وعلى كل فاشل محله وهو زاهي متشدد وليس كالأمير زامل الواسع
الأفق. ولكن ربما يثر عم زامل البلد صدي بسبب نصراني. وفي النهاية أغلق علي هذا (الأمير
علي) دكاكي فأصبحت بلا مأوى وبقيت مع متاعي في الشارع فتجمع الناس العاطلون والمضوون
فرجة لهم، ولكن علي الرنجي صاح فيهم قائلاً إن الأمير زامل سوف يعاقب أي إنسان يضايق
خليلاً.

اشتدت حرارة النهار وأذن الظهر وأنا مازلت في الشارع مع أممي. وكان الدور في طريقهم
للمسجد ينظرون إلي ويصيحون يا الله هذا الذي لا يهلي. وقد جاء شخص... ومعه عصا طويلة

وتظهر عليه علامات الحماس... وكان يضرب هذه العصا المتباطئين عن الذهاب إلى المسجد ..
وكان معه مجموعة فقروا أفراهمهم وهم يشاهدوني.. وقد قال لي هذا الرجل قم صل .. ثم صل الله
بمحضك.. وقد هند هذا الرجل الزنجي علياً الذي ظل جاقاً معي، ولكن هذا المسكين ما لبث أن
أطاع ذلك الشخص خاصة بعد أن حوله بالله.

وقد شعيت علي هذا على أن أتكلم مع زامل عن قضية الدكان، فذهبت إليه في الظهر ووجدته
عند باب بيته وحدته فقال لي بصوت هادئ لن ندخل داخل البيت لأن "الفهولة" مليئة بالبر
وكان ليلاً شيخ مطير وبعض أتباعه الذين جازوا يطلبون من الأمير أن يقوم معهم في حرب ضد
فحتطان) وقد سار معي زامل وجلسنا سوياً تحت ظلال أحد أشجار تنحدرت وقد سألت زامل عما
إذا كنت قد فطنت ذلك.. وطلب من الطوي علي أن يحدث لي عن مكان آخر..

وقد وجد لي علي سكناً ردياً حتى أن تصفقتي قالوا لي إن هذا بيت فترانه لا يصلح للسكنى.. وقد
قال ثم علي إنه بحث قدر جده، ولكن كل واحد يخلقه في أمري كان يصدده ويقول له هل أزع
الضري يمكن في بيتي.. وكان هذا البيت المهديم لرجل فقير جداً وهو أحد المرضى الذين أقوم
بعلاجهم. وقد طلب مني كراهة يوماً عائلاً على الرغم من أنني أقوم بعلاجه عفاً...

استطاع الخوي علي في اليوم التالي أن يفتح أحد جيرانه السود بأن يسمح لهذا الطبيب بأن يسكن
في إحدى الغرف الخالية في بيته مقابل أن يعالج أباه الأعشى. كان هذا الأب هو عميل لعائلة (بجي)
الذين أصبحوا فيما بعد أصدقائي وكان مصيبي الأسود مرشحاً للحصن في "قباوي" أهل المدينة.

في اليوم التالي ذهبت لتناول الفطور مع مثنى في بيته.. وقد كنت أذهب للسوق كل يوم صباح
فأحد من يطلبني لزيارة صديقة أو لزمه المريض، وهناك أتناول الفطور الذي هو عبارة عن حمر
ولبن، ولذلك أظفر سحباتاً مرقين أو ثلاث مرات كل يوم. ومعظم أمراض أهل عينة تتعلق
بميوهم وقد رأيت مئات من مرضى العيون في عينة، كما أن بعضهم مصاب بالحمى أو الجفري.
وكثير منهم فقد عيبه أو كلفني عيبه أثناء طفولته، ومرض الجفري منتشر الآن في المدينة مع أنه لم ير
عند مع سنوات وقد انتشر أخيراً بسبب العدوى من بعض الأطفال العيد الذين وصلوا البلدة مع

أحدى قوافل خراج القائدية وقد اعتاد أصحاب بعض القوافل شراء العديد من مدينة جدة ويعتبر
 في غير ذلك وأحيانا يذهبون إلى العراق فيربحون بعض المال، ولكن بسبب قلة التنظيم وكما اعتقد
 فقدت مدينة المسألة فضل البناء الجموسى هناك. وهذا المبنى من اجفري لم تعد آثاره الواضحة
 في برهدة. في اية قرية من قرى انبوه القرية. وقد ذهب مرار مرارة بيوت فيها اشخاص
 مصابون بالجدري، وهم لا يتفهمون أي علاج حتى بعض المستعدين في الذين ذهب يورثهم لرويه
مريضهم. والنساء في المدينة لا يظهرن في النيران ولكن في المساء وبعدها يذهب الرجال لتناول
 الشاي في محلاتهم يخرج بعض الناس من محلاتهم يذهبون إلى حياهم. وهناك بسرعة خلال
 صلاة المساء عندما يكون الرجال في المساجد.

بعد يوم أو يومين من وصولي لعمارة جاعني حد كثر أهل عمارة (في المقام). ودعاني لتناول العشاء
 مع والده الذي كان حب حد. هذا هو عذابه من عذابات من النساء ناجر في جدة ورئيس عانته
 مساه في عمارة. كان عذابه المساء وعذابه الحبيبي صديقي جعفر بن ويناولان العشاء مع
 وينهال كل يوم لتناول القهوة في باب احدتها وكانا نجسود في صحبة الأمير واهل
 وقد اجتمع مع حبيبي الشيخ ناصر السبيعي وكان كثير في نس ومنشد في الدين، وهو من
 حد عمارة السبيعي في حد. وقد جاء حيز من حد. عه انه لم يصح ناصر كثير، وقد استاجر بيتا
 في عمارة وكان شربكا مضيبي في عمارة الخويل حيث يفرمان شراء خيول صغيرة إلى كل سنة
 من البلد ووصلنا إلى بومهي لبيع هناك. وكان الشيخ ناصر قد استمر جردا من امواله - التي
 جمعها خلال السنين العديدة - في قضاء في حد - مع تاجرين ذهب للهند في مهنه ولكن عرف فيما
 بعد ان السبيعي لم يسمع خبرها منذ انجدها وري يكون قد عرف. والتاجر هناك لا يهتمون على
 مصيبتهم من الحرق او النار لأهم بيوت ذلك. فانكسرت عليهم وبدأ على عدم التوكل على الله على
 كل كان هؤلاء هم رثائي في عمارة. فقد تاروا النظام في باب المساء وكان يشتمل على الرر
 ونسجم كما ان طعام المساء اشتمل على حرق مضي بالزبد واختارة اللس وروادي. وقد
 عشنا وسامرة وهذا طريقه اوروبية لأن الحديث على الأكل علة غير محبة أبدا عند العرب. إن

العرب - معاد - يكتوب سرعه ودون كلام حتى يمسحوا الشبان لأولئك الساكنين الذين ينظرونهم
 يكتوب معاد - وقد كان معاد كرمي معي حيث كان يرمي شعاع المدح في أثناء الأكل وكان
 كل واحد يقول سعد ان ينتهي من الأكل أكرمك الله بتواضع ولطف وبعد انتهاء الأكل
 انسى معاد وإيلاذه شاعف لتضيوف ومعهما وحسن لفرقة القهوة وعند ذلك بدأ ابن السهم
 التكبر في صنع لقهوه بعد تناول القهوة قام الضيوف وحدث بعد الأخير بطايرين يساء معاد
 فجلس معه الله عبيك ليرد عنيه في امان الله

وعند الأساره و ان معروفى بالادويه سمعتي احد كل يوم احد اناء البقرة الفقراء الساكنين ينظر
 كى دمعى صبيه و كان يرمى مستخدمون قهراب لحيل النيران التي معي بجانب
 وقد نصب السبب حبه في القهاري حاضره برعلاء وحيوان عذاته السهم سبب احب صديقي
 صبي - ومن شاداد الذين معاد بصلتهم عند الصالي وهو من عذبه بغداديه مشهوره بالتحا و
 وقد تصدحت عند مدحانه بغداديه كمد مع لاء فندبه سريره لقد سب عند الصالي في بغداد
 وكان عذبه معاد بصلته و حاضره

و كانت قهوه عذاته السام - خلال النهار - قسم الحفل اهل القدره واشهرهم، وقد كان
 معاد كرم - حد كان هؤلاء هم أكثر عمار عيده اس وتعاله حيث كانوا يفرزون - لموسمه
 بربطه و شعر العربي القديم وعند عذاته عذاته عذاته قهوه ك حاسبي شاعر على ضوء
 - - - وقد صبو في ان افرد بعضهم بعض التعديلات عن الادويه وكان عذاته السام
 بعد معاد في سولي هي اخبار العالم العربي

يكن عدد يكون عبي حاصر فار نسام لا يتكلم كثيرا وقد كان الحنبلي يعاقب معاده
 حاضره وكسي عربي، كما انه كان يالسه في كانه اوروبي وقد كان يعرف كثيرا من الاخبار
 سببه - سببه عدد سنه لد على معرفته بالاحبار الاوروبيه، ولذلك فهو من حصل من يعرف
 - - - سببه في لنبه وكان يمر بعض اخباره التي تصل في استاسون

وبما عن علوم في فقهه العام. قال رجل شاب اننا نعرف ان من بعض عادات الانجليز ان
 الا ح لاغير في عهد يهودي حتراما ليعطوا مكافأة للحريم كما انهم يرفضون لمعامله "الربطة"
 عند عينتهم لاصولهم. يقولون اني الربطة هي القصة ولقد حرفت عن كلمة يهودية هي يوريا
 وقد ثبت ان ان مسان متفقد احد وانه من كرم الرجل ان يحترم الضيفه ولقد رد على هذا
 الشخص قولا ان عهد الانجليز هي حبه للحريم. وقد رد رجل آخر قائلا وانه غريب ان الانجليز
 يجهلون افراد حكمهم وليس رجل من ساني ما سمع منكم يا حبيب؟ فاجبت اسبدا فكتبت
 قال يا حبيبي في صباح احد الابرار سمعتك بوجدت مسيو خديج ذككاتب هذه كلمة انكليزية
 في ح ما عرفت ان كان بلغت ما سمعته من عات بار. فاما عرفت اياه الا وقد شكره
 بحر هذا انك م كم سمعته. النساء - الرجل الضيف - كان مستعد ان يرسلني على حسابه في
 في هذا العه. وكما بوب صدام لاقتصر و لعداء مع انيسام. رجل كرم شكرت الله على ان احد
 منه مثل الحبيبي في تلك الاصراع الثانيه
 وقد ذكر في حبيبي به حريص على تربيته وتعليمه ولقد تعلمت مختلفه ولغات انكليزية والتركية
 والفرنسية والانجليزية وكان الحبيبي في العشرينات من العمر وجمعي الثهاب لأوروبا ليري هناك
 حقد فامس لآلات يعبه لي عزب جهاء ناس وحديثه وكان الحبيبي واسع لاف وبشر
 الانحراب ومصح ناصبه العسي وخرقه في القاد الغربي وكان متسامح ويك في العصب اللهي
 صعب مصر ومن أحسن من عرفت وكان يريد أن يرسل ابنه محمد ليعتاد ليعلم من سكين في
 منوره سلامه ثم يذهب بهند في مصر او بيروت، ولقد سألني عن الفصل المتأخر في بيروت
 وكان عمر فضل الحبيبي -الذي اشعل وهد في مستطبه-عشر سنوات وه يكن الطفل قد يعرف
 كتابه الحروف وهذا الطفل ولد في احد من الرافه هدية وكان وازد حريصا جدا على تعليمه
 وعلى تربيته من - الحبيبي - يذهب في مند من و حاديات فقد كان واسع لاصلاح وعارفا حادرا

المعاد

كان واثق صديقي المحبي بدر بن الحبيب. ولكنه كان فقير. اما امه سحيلي - فقد غامر وكثير
 من التجارب. وقد انتقل بالتجارة وسكنه بسجدة كثير في الداهية وقد انتقل في بيع
 وشرء بولس وانتقل بسب ذلك في رجب سوالي كان سلطانا من عمان من بني ثيم - كما
 ذهب في تجارة في حرر (مورسوس) كما قال في - وبعد ذلك انتقل بتجارة الأبرار بمكة من
 مدية بومدي أو ما يسمى القريه وسحر استقر في نصرة حتى انه كان عنده من القمح ما ياتي
 خمسة آلاف حبة وقد كان ساس في عبدة بنفروز باحترام لمحبي وبمولد واثق الله اغناه لثمة
 رجب صيب ولكن البعض كان يعتمدوه ولم يعرف الكثير ان المحبي كان في مناهة حياته فطير وانه
 كان بالكاد يستطع ان يحصل على ضروريات الحياة

كما يحبني بديار السوق فيه ربح وخسارة واسعار الصاع بفتح وتختص مع الوقت وقد
 عمه كيف يستعيد من بصر السوق ويشاعره برونه وفي هذه الوقت كان محبي تاجر قمح بيع
 بتجار الصاع عن طريق الاقراص والشفقة وكان يدارف داهية كما قال في تجارة ان ينظر اليهم
 ليعرف حرفة وهل يشي اليهم او لا في عماله البيع بالاجل كان محبي كريما يساعد ابناءه ويمد
 حبه الذين يكونون فيساع على اشد الحاجة وكما صفاته حبه بوجه العموم وهو غامر ودور
 وحده بسوق وكان في تحكم وجمال العالم

ملاقاة في مدية

ذهب في يوم من الايام لزيارة اهل فوجدة محمد بن الحسن صائفة في "فجدة" وكانوا رعيين
 رحلا ثم جاء اليهم بعد الشيخ الامام وقد امر بعض اصحابي في اني اقم هنا من اجل محاضرة
 دينية بعد ظهر يوم الجمعة وقد صلب القهوه وكان بعضي يسرب من نفس "الفجين" اني
 شرب في غرضه وكان الشيخ يهر القرآن وينظر في ويقول ان عيسى هو من مريم وانه كان
 سورا له ولكن صفاري اخبرني عن احد لم ينظر بعينه عيسى بل سمعوا انهم انهم واعدها فاه
 الشيخ فام بهيه الثاني وذهب كل واحد منهم باخذ مقال

لقد ساحل على الناس قبله بعد ما، على راحة راحل ولكن الشيخ الإمام وقف صدي من الدابة
 وهو غدي حرك الناس صدي إذا نصر في له صحت يوم الجمعة وقد قال في إحدى خطب إن من
 أساء الذي انتبه به هو أنه بعض كبار أهل المدينة بولون الاضواء لغريب غير حوس به إلى حد
 الأمر لا يرضى الله ورسوله يكون سباً في مع بوزن الفيت عبا وقد أثر كلام الشيخ على الناس،
 ولكن الطهي والهدم وزامل استدرأ في محققهم الطيبة في

لقد استمر صديقي قد انتبه - أثار حل الساب السعد الذي في استراجه في الهدم، وهو لم يكن
 مندوباً وحباً بقليل منه حتى لا أراى على نفسه وعندما أطرقه يفتح في (بمعهده في أنا ألك كبير
 حجة) وأحياناً يعمل في "شيء" بطريقة فارسية

لقد نشب جد في سب في صف الإمام بالله ول جد الإمام وحده راحة مصممي السود،
 مكشبه وقد جد في طرفة عريف جد سب بعد في استعمار التي نتجعت فيه، جاء انظر وقد
 كتب بعد في في طرفة حرم وقد استفتح بعد في ذلك السك القصر حتى لا استيقط هو،
 انطوي، ولذا تركت أمتي في المنزل وقصبت الأبناء التالية في السورخ ومياله القصي اليوم كله بلا
 أكمل ولا نجد مكاناً لنوء في الليل

وه بعد جد في مدر عنه في امكاسي عاني في منزله ترك اذهب في بعض اوقات الذين
 عاجتهم من قبل فاضل بواله وسمح النعمة المعهودة القضا وعدم ادخل اسلمهم ان يسمح في
 بعد في مدر لا رضي معروض دارم كدب في بظلم عبي في تمام لبالاي ان امام
 عندهم وقد وجد الفرج من حين يسكن عند راحل وكان من القصة الذين يجمعون السيوف
 مديبه حشد من الامر، واللاتهم - وقد قال في ان سب في عليل ان راحل بدون سكن ولكن
 هناك بس حذر لمكن ان نفيه فيه هل لذهب لراة وقد ذهب اليه وألقب فيه وكان حيرته
 امام عبي ركسب ان جد راحل العجور عصر في كني صاح حبر في يد وعند العروب كاس
 لحصر في بعض انعدام معان بعض النار البسيط ولاند ان يكون قد قصبت دم صر باامر من راحل
 وكاس جد، ثم ان العجور خمس اعاني راوي وحبيب ومعاني وكاسي اسب وكان هذا المرحه هو

أبو عبد الله سامي الوحيد الذي بدأ في وسط نجد كتباً حيث كانت الناس فقط من الذين لا
يعلمون الطب

وقد أراد اقتضار الحربي في تربيته ومات منه ثلاثين طفلاً من بين الاطفال الكثير المصابين به
وكذلك كل هؤلاء الاطفال الذين استعملوني لعلاجهم يصحون لماذا عانيتي استئصال الجراثيم في
معدتي التي فيه مرضى وموت - جميعهم اعترف كيف أقدم "بالصميم" استشرى في عهد فكرة
"الصميم" وان الإنسان "المطعم" لا يصيبه الجراثيم أبداً

كان غيب في ذلك الوقت طلبة في سنة اطفال يربوا ولم يكن يسلم بيده من موت أحد الجماعة
منهم هذا مرضى في يدلع أحد سبب معالجته صدمات في شدة هذا الدكتور صدمه من اعباء او مرضه
عبد الله ومطهر بعض الاعباء على برغم من اني دعوت حياهم في احترام هذا الصبر في
ولكنني كنت سعيداً ما عطاء الحقني للعقد في نجات

لقد كنت رى كل يوم في طبيخي وجود عائلته بعض من يكره عيسى في ولكنني كنت حزين
دخماً وظهير وحباً وقلناً طبيباً هم لقد اصبح الناس السطاء والفقراء يتكلمون متروكيتهم من
مخادتي كما أن كثير من الناس الذين كنت أفرهم - كانوا على وقتلوا في شهر الجبل فلم أرى
مبداً ذلك لرجب من والرشه في دحوي في بيوتهم وان اعرف ان هذا كان نتائج نسيج
والصحة عداً الذين عرصب الناس علي وقد سالت اهللاني لماذا ابدو مرضيهم فنعرض على
في عيونه دهي" وقد ستم من لغادر القافلة مدينة عيرة لادفنها فيها فانو في اصبر هناك
فانله سوف تغادر في الأيام القادمة

لقد كنت اجد أحياناً سعداً أهود لمي - بعض الناس يودون هذا كافر في الله امين غيبه
الغير في انبياء في عهد هذا الفاجر الذي لا يعنى الإسلام فقد قد اعطيناه وف يوسع لنسبهم
ولكنه الآن يحارب في عمامه يارب اخصه في

لقد عاد بعد ذلك حتى بي في كفي اخرج وارجع صيب من نفس الطريق ولكنني رجعت نيب
في ابوشك الذي يكون فيه السوارح فيه حايه من الناس لارجع سر وهي سلاحي وعلمه الجود

في الليل من بيوت اصدقائي فإني اضرب المسح تحت ابطي وفي يوم من الايام حدث ان مكسي
هو حيدر ساعتي قد سرق سرقه كنت مركبة مع ادريتي - وكنت اقول على يدي لا تحصل على
بعض الزبائن وقد ذهب مكسي في احد اجيران كما ان جميع آيات التنظيم التي في مكسي
سرقه وكنت من نواح وقد كنت في عدة زبائن في كثير من زبائن كما بلغه خلال عشرة اشهر
من علاخي في بلاد العرب لقد أصبحت افكر لئلا لو ان اصدقائي في المدينة هجروني ومكسي
على ان سرقه لا يجري لا طفل ورائي وصاحبهم خلفي كما هو يدبر شيئا وكان الموقف في هاته
مايو أي في وقت آخر

بعد صبر احد زبائنه وحده اوساحر عند بيوت وكان بعض الاطفال الاوغاد يرمون احجاره على
عند انسي في طريق ميمو وعند ذلك بقيت ساء هؤلاء الاوغاد وصاروا اناس مشددة وكان
قد أصبح رافد على حذره ونسى احذار وعندما قول المسح، وسحب امره فمضيه أصبح به
مضراي لازم ثوب ان سوف تفعل لا محالة وقد اسمر هذا الصباح والفرح ربح بعضهم ناني
وتكن هؤلاء الاوغاد ينحروا في المذبحون في هذه الساحة كان احد البلد المختبرين خالسين
في بيوتهم وبيوتهم في بيوت اصدقائهم وبعد فترة طويلة لم يجد احدا من بيوتهم
بعض الناس مكسي في طريق عودهم من بيوت اصدقائهم وبحث كثير يتناولون
لقيدود معي وقد صرنا الاطفال واستدعهم عن بيوتهم وقد اعتاد الاوغاد بعد ذلك على اضربي
حسني حيث يصحبون ويرمون في مضراي باحجارة من الحطب وقد ربت احد الرجال الذين
كثرت افعالهم من بيوتهم ان بعد هؤلاء الاطفال عني ولكنه قال لي هذه شكوى في هذا الامر
باعتنا وقد حدثت قد الراس ان يتعاضد حتى هؤلاء الاطفال وهرب من احد الاموات اجابيه
وقد ربت انه لا احد الفصل في رمي احجاره من هؤلاء الاطفال الاشقياء الذين يشبهون الفجر
وكنت احضى مضراي كالقمر يرح على راسي وان مضراي حتى اصل ان المضرب الذي يؤدي في
سيدة والدي بوحده فيه خراب ماء يدي (سدة مياه) وكان الاوغاد يلاحقوني ويرمونني بحصى
الاسنة "بصومي" ويصحبون من خلفي وقد صاح احد هؤلاء الاوغاد اكبر قائلا يا الله

- شاء الله وحده - من هذه القصص تفنن كيف يوافق راعيل والنسخ على ذلك فجلس بيننا وقد
 وحده صدقي علي - نجي وألقته ان يرجع معي في البيت وبعد هؤلاء الأشياء من طريقي وقد
 بعد وظاد هؤلاء - حسب عليهم وكان يخرج استانه عليهم بنعيمهم، وكان من يلاحظي بعض
 اصحاب الزلاي هددت - خوي علي مصعبه اني بمسند وطوبه راعيل من وبعد ذلك قال لي علي
 اصعب لان يا غيب لا تخف بعد ذلك تعبت في ابيسك لاكناس القهوه عنده وكان انجي
 هات قد حسم - مهنه ثا رنيه، وبكي م اهل غده علي شاعب اني حصب في حتى لا تكسر
 صبر خاطريهما خاصة في كنت اهل ان فعل هذه الشاعب في تتكرر

وفي حونه وحده - مجموعه هؤلاء لا رعاد قد عمير و عدد بي وقد صبحوا انفسهم باسم
 وبعني ولدت - في السوق لاشكر ذلك جاري طبعي واعد وهو من رجال الامير وقد
 فالر سدا ر - صبح عن هذه شاعب التي يسبب الاولاد له يا حيل وكذبت الصغار
 وقد هددتهم راعيل - كما ان اخوي علي سرجل الامير - حروب بعضهم

عند من سبي صديقي صوي عيوه كس جميع الناس يجالس في ذكائهم بتحدون علي
 عند من يعرفه - من بين من شاعب سرجل في طبعي الامير علي (اتب الامير) وهم
 بحس سبه بعد - لاهير اهل ندي بحس بقا سبه وهم بشي في السوارح كذلك مر طري
 اصبح صبح وهو - الوجع ولم يبق علي التحبه وعلمها عاب الشعي وخب اشوخ
 رصحت في بي وكنت حاتم ومعباً ولفك فقد عك مباشرة

بقي من مديته

في يوم من الالهي حادي اخوي علي وخرق باي وفان في اصبح يا حيل الامير معي وعندي
 فحب سب فان في خوي علي ان الامير حائل هناك في السارح فحب به وحسب بخره وم
 بكن من لاهد يمكن متوجه ان باي راعيل في مثل هذه الوقت وان كان الامير علي سعه لاهير
 راعيل بشي مادري ما سول فاقلا في قصب في الزاهي فاخبره اني ذاك قريباً بصحه ان

[illegible]

الباقى وقد سأله هل هناك أحد يحتاج مالا أدوية في المدينة من بعيدى فاجاب الامر علي لا تريد
 ادوية وسأله لم تكن تعمل حطب وبماذا في عيده فاجاب الامر علي نعم ولكن اصبر
 بالرحمة فانه ولكن ماذا كفى هذا؟ فصاح في لانا أليس مستعداً بعد؟ اركب وفي هذه
 الاثناء سرق ساعة معاني التي كانت في مدخل غربي، وقد صاح فيهم الخوي الزمعي علي متبعاً
 ياهم بسرقتي فاما بعدد خيل حدانه وقد شكوت ذلك للأمير الذي قال ليس هناك حذاء
 وقد كان يصعب علي السير في الصحراء بدون حذاء وقد صاح الامر علي اركب اركب
 ولكن دفع اجرة الجمال مقدماً وقد بقي معي أقل من خمسة ريالات، وأنا الآن وسط البلاد
 العربي وسأعي قد سرق وعندي ركب اجمع فعي الامر واعوانه حتى "انجس" وقد سأله في
 من ذهب في الخبز فقال لا مبرحاً عداها انعي ففقد له عصي رساله له فقال في لا لن
 عظيم وقد سمع الامر بتكلم من الصحراء ولا يد انه كان يتكلم معه في غير صاحي ولا يرفع
 صوته وقد تبعنا الخوي علي -اول مضيق في في عترة- حتى بوابة السور وقد تعجبت له
 وقد له من اصفاني في عترة الان ؟ فقال في الخوي علي يا واهم اعطى امره بان اغادر عترة
 في هذا الوقت من الليل يتصاري به مسكيات قد حصل في المبيت، كما ان السير في الليل أكثر
 اماناً ؟ قال ولا ان رساله وصلت من سيخ بريد رامل وسيخ عترة بعضهم فيها على طرد
 التصاري

قال في الجمال لمي ساكوب في الخبز عند الفجر وقد وعني الخوي علي وقال انه سيقب
 لضيفي ويسأله ان يرسل في بعض المال مقابل الادوية التي اعطيتها له من اجل علاجهم، ولكنني
 عنتف فيما بعد ان عبي لم يذهب للحبي وقد سألت علي ان يقب من الجمال ان يحلف ان
 يكون امياً معي فحلف الجمال وكان اسمه حمس وهو نفس اسم الجمال الذي حمس من بريد
 بعير

عند اسرار انديه رجع الخوي علي وابتعد الرحمة للخبراء والخبراء بدلت صغره واهبي فلاحون،
 وفي عاب حكم امير بريد وقد كان مسكنها قبيلة قحطان فانها ترحله وعندما اصيحت

حله ، على بعد ميل واحد فت حاوله انفسا حسس ان يزل متاعى قبل الوصول للسفلة ولكن
 امره حسس فسدي وقف له ان كتب حاتم ان تدخل الخيرة ، لما استطع ان اذهب هناك -
 فوجدني باسفل وحيه امتني والحقني هناك وعند جندك فيما بعد وقد امدى مرافقة وقال لي
 كذبت عربة لساعتك عند ي واحد بكون ان ياخذ طمني وقد جاء رجل من اهل الخيرة - كان
 قريب جدا فدخل في الامر وذكر لنا جمال الـ الرجل العريب له الحق ان توجد الفتنة حتى اسوار
 السدة وقد فعل حسس دنت وبكته ولفس ب يدخل من باب سو سدة، ولذلك فقد ربه
 جمه عند بوبه اسور ولكنه حمل امتني على ظهره حتى رست السوق عند رمت جاء اهل
 السدة ب وعيهم في حور وعند عرق نفسي مع اعمام والفقير على ما فعلت وقال حسس
 حله ب حمل امته نصف على "قبوة" الامير وقد كان كثير من اهل السدة "جائون" ولديهم
 فنظر رجل غريب هو امر هانوف عندهم فهم ينهون بقولهم للحج متو

دعت قبوة الامير وكان هناك رجل عني وهو عني حيو امر الخيرة ، وقد فاء هذا عفا حسس
 ب وحب يعمل تقبوة وقد حب مع عدد من الرجال في القبوة ترك صفا والربيب في
 خنوس قرب مقدمه القبوة كان يعمد على غير ومكانه انفسه بعد فترة جاء الامير من
 ممر عند تركا ولاس - وحب بي و مر في طلب حمال حسس يشاور تقبوة معنا كان الاس
 بنظره ب زنتهم بوب وحب الله يعرفون اني ان العسرا الذي رجل من مكان لآخر في
 سطحة وبه سحر ي مصلح خاصه انه ليس معي مال وفكرت لهما لو رسل في الخبي او انساب
 بعض ثا ب و ب مستحمل هؤلاء الناس بفاني لهما ينهب وفكرت في ان احد من الناس هالا
 - سامة لاعبا - لما لادسي لعل هت بكفي شره اخر وسحسور على ماري.

عند ذكره هو احبي راوتن لاجناس فاقم يعرفوني وقد سألني بعصيه عدة اسنة ومنها هل
 معي بعض لادون - ولكن رى بعصيه ان يدعوني الا بكمبو حديث عني في القدر بعد ان
 انتهى من من ب تقبوة مره بيه عانوزو الملكا وديشي سوى الاعمي على "والد الامير".
 وقد اندب هت على هت وسانتي قبل ان كتب استمع علاج عبوره. وه فان الامير مساعد الي

وقد سألت الأمير: هل أنا في أمان هنا؟ فقال: ابن هنا معنا عدة أيام واعتن بوالدي وسوف ترى ماذا سنفعل. وقد أعطاني علي بيتاً حاليّاً بقرب بيته لأقيم فيه. عندما حل الظهير فأتني الأعمى إلى غرفة في الدور العلوي فوجدت هناك قطعة من التمر والخير والماء. كان أمير الخيراء في منتصف عمره وكان أبوه سميت الزواج بفتاة صغيرة، وعندما لا يكون هناك أعزب فإن هذه الفتاة تجلس بحاله ويدور لها لمحبه كثيراً، ولها منه ولد ولكن الطفل عبوته شاذية ومريضة، وقد طلبوا مني أن أبحث له عن علاج.

لقد لاحظت كيف أن الخيراء يدر هادئة هفوة ملغناً للنظر فقلما يسمع صوت أو يرى أحد يمشي في الشوارع، ولم أسمع فيها عن مجالس "القهاري" كما في عنيزة، لقد كان الناس في تلك الأيام مشغولين في أمور الحصاد والدرس، وكان موسم الحصاد ضعفاً لأن البرد قد ضرب سنابل الفصح. وكان سكان الخيراء الذين رأيتهم قرويين... ولم يدع أحد هذا الغريب إلى قهولته... وكان الأمير وأبوه أفضل من رأيت في البلدة. ويوجد في الخيراء حوالي 600 بيت، وقد كان بعض رجال الخيراء عسكريين في المدينة للحكومة التركية.

لقد فكرت أن الخبيبي لن يصل بي مرة ثانية، ولكنني سمعت في اليوم الثالث من وجودي في الخيراء طرفاً على الباب، وكان هناك رجل يصيح: الفح يا خليل، زامل أرسلني إليك، وعندما فتحت الباب وجدت الجمال حسن وسأله: هل معك رسالة؟ فقال: كلا ليس معي أية شيء، وذهبت معه إلى الشيخ علي حتى يسمع أقواله وقد قال: إن زامل أرسله لي وهو يريد أن يرسلني مع القافلة القادمة إلى جدة، وسألت الشيخ علي: هل أذهب مع حسن وأعتمد فقط على كلماته؟ فقال لي: اذهب يا خليل ولا تخف، اذهب بسلام، وأنا أعرف أنه من الأفضل لهذا الرجل الأعمى أن أنقى لأعاجله ولذا صدقته. وقد تركت مع هذا الشيخ الأعمى بعض الدواء لعسل العيون فخرجوا. حل بعض الشباب متاعبي ورافقني بعضهم إلى الجوامع حيث أبقى حسن جملة هناك.

سألت حسن ماهي حقيقة ما يريد زامل مني؟ فقال إنه يريدك أن ترجع لعيزه، وأنتك موف تسكن في البيت الكبير الواقع في القاع "مكان الطمي الذي انحسرت عنه مياه الأمطار"، وكان هذا

البيت بعض رجلاً يدعى راشد وهو غائب عن عبيرة الآن. سرت مع حسن ولما وصلنا المكان المذكور رأيت مجموعة من الناس في حقل قمح وقال لهم حسن إن زامل هو الذي استدعاني لعبيرة، وقد دعاني أكثرهم وهو إبراهيم لأنني كنت أمتني وأدخل وقال إنه سوف يذهب بنفسه مع حسن إلى الأمير زامل ليتكلم معه في شأني، وقد قالوا لي إن عبيرة ليست بعيدة وهذه الحيل وحقل القمح الواقعة في قرب الوادي إنما تقع على مسافة بسيطة من عبيرة جنوب العيارية. وقد كانوا متغولين في معانقة القمح، وكانت هناك مجموعة من النساء تضرب على القمح بأدوات خشبية، وقد كان حرق كثير من القمح بفعل يوماً إلى بيت راشد بالمدينة. وكانت هناك أسوار عالية لهذا الحقل وفي أربعة منازل طبية وأبراج صغيرة تقع في الروابي، وفي الوسط نتر يسحب العمال منها الماء وهناك عرفة لامرأة من الرقبيل ومعها ابناها. وتبلغ تكاليف هذا المكان -المبنى من الطين والذي يشبه القسنة- نحو 100 ريال للعمال، كما أن تكلفة البئر هي 500 ريال.

في منتصف وقت الظهيرة من اليوم الذي غادرت فيه الحيرة رأيت رجلاً قادمين من النفود، وقد كانا أحسن واحد الصائلي اللذين جاءا لزيارتي، وقد قال لي أحسن إنه نفسه لم يعلم -كما لم يعرف السام ولا أي أحد من أصدقائي- بما حدث لي في تلك الليلة التي غادرت فيها عبيرة، وقال لي إن أصدقائي في عبيرة سمعوا الخبر في الصباح حتى أن حمد الصائلي كان ينتظري في الصباح على الطريق وقد استغرب أنني لم آتي إليه. وذكر لي أنه عندما سمع الناس بمغادرة الصوائلي للمدينة تحذفوا عن ذلك في السوق ولما كثير منهم الشيخ على تحريه الناس صدي وألما لم يعلم بما حدث لي إلا في المساء عندما ذهب لزيارة زامل وألما سألاه كيف يوسلني ويدون علمهما. وقد قال هما زامل إن هذا حدث عن طريق المشورة، وقد ذكر لي أن أصدقائي قالوا لزامل "إن تحليل ابن أجداد ورجل يستحق العطف ولذلك كان يجب أن تؤمن له رحلة مأمونة".

وقد عرفت أن السام -وكان له كلمته المسموعة عنده- قد طلب من الأمير زامل أن يرجع تحليل ويبنى في بعض المزارع الواقعة خارج عبيرة إذا كان البعض لا يرضى بوجوده داخل المدينة وذلك حتى تأتي إحدى القوافل ويذهب معها. لهذا أرسل زامل في طلب حسن وأمره أن يذهب إلى

الحجارة ويقول ذلك خليل. وقد عرفت أن أصدقائي في عترة قد استعملوا الجمال حسن أن يفعل ذلك بسرعة. وأهم هم الذين أشاروا علي زامل أن أبقى في مزرعة راشد خارج المدينة. وقد قال لي الحبيبي إنه لا أحد يستطيع أن يؤدي هنا، ولذلك فممكن أن أرتاح هنا حتى يجهز لي وسيلة مريحة وآمنة للمغادرة. وسألني إلى أين أريد أن أذهب فقلت له إلى جدة، وقد ذكر لي أنه سوف يجعل زامل يساعدي في ذلك وسألني هل أريد شيئاً آخر فطلبت منه أن يعطيني بعض المال لفعل وأعطينه "شكراً" متبادل بعض الريالات التي أعطاني إياها، وقد قال لي الحبيبي الفيلسوف إن المال هو وسع هذه الحياة أو كما قال داوي "Nejuz eddinya".

وقد قال لي حمد الصافي: لا تنق بأحد يا خليل، ولكن من عاذني أنني كنت أتحدث بصراحة حتى في الشئون الدينية، وقد قال لي (الحبيبي والصافي) إلي هنا في مأمن من... الأمير علي، وعندما قلت لهم إن هذا قد صرني غصب حمد الصافي.

لم نعلم قيمة الشيك الذي أعطته للحبيبي إلا بعد سنة في أوروبا، وكانت القيمة قد دفعت لي بيروت. وقد كانت العملة الأسبانية (Spanish Crowns) هي العملة السائدة في التقسيم (كما يقول داوي). وقد سألت كيف يهرب التجار الأجانب هذه الكميات الكبيرة من الريالات الفضة إلى هذه المناطق عبر قبائل الصحراء الموحدة، فقبل لي مع طرائف الحجاج القوية.

كان الوقت الذي أعطته في هذه المزرعة المسورة بحر بطيئة، وكنت آخذ الماء مرتين يومياً من بئر المزرعة وأجلب الحطب من الثغور لأقوم بطبخ "صمة يد" من الأرز، وقد أحسني العمال الفقراء في المزرعة ومزرعة الراشد) وسامحوا معي دينياً وتمنوا أن أبقى معهم دائماً.

كانت هناك قافلة قادمة من البصرة إلى عترة وكان معها راشد صاحب المزرعة. وراشد هذا صاحب نخارة وقد تزوج أربع نساء عندما تحسنت تجارتها، وله العديد من الأطفال وربما عنده حانة طفل أو أكثر، ولكن كثيراً منهم قد ماتوا، وقد سمعت أن عنده خمسة عشر بنتاً، ولي بينه الكبير صغيرة يقم حراي 30 شخصاً.

في اليوم الثالث من قتالي في المزرعة جاء راشد قادماً من بلاد الرافدين سجداً أن أقام في عبدة بعض الوقت ليفقد محله - وقد اقترع مني وقال: هل أنت النصراني؟ فأجبت: نعم وقد تحولت معه وعملت له "شاي" وأكثر في السكر، وقد سمعت فيما بعد أنه يقول إنني رجل أمين...، وقد قال لي: إن شاء الله إن المسألة لا تطول ومقاتل مع القافلة، وقد تفقد راشد مزرعته وعماله في ذلك اليوم.

كانت الأيام التي قضيتها في الانتظار في المزرعة غير طويلة حتى وصول القافلة. وكان الأمير زامل قد أسر عذرة مع مطير صد فحفظان حتى تأتي هذه القافلة من الشمال، أما القافلة الناجية إلى مكة فلم تذهب حتى يوصفوا القرار بشأن هذا الغزو.

في هذه المزرعة التي تبعد ميلين ونصف عن عبدة لم يأت أحد من الذين عرفتهم لزيارة هذه المزرعة. فقد كتبوا حاضري من الراهبين ولم أسمع عن السلام أو الحسين بعد زيارتهما الأولى لي، ولكن كان يأتي من وقت لآخر بعض المرضى للعلاج قاتلين: إن الحسيني أو زامل أرسلهم لي. وقد بقيت ثلاثة أسابيع في هذه المزرعة وكنت بعدها على ودية إن الجوع والصب قتلاي وأرسلت هذه المورقة إلى الحسيني وقد أحاطني رسول الحسيني في اليوم الثاني ومعه حمير وزبد ولبن وقال لي إن الحسيني يسلم علي وسوف يبعث لي عن وسيلة للمهادنة في أسرع وقت.

كان شيخ مطير موجوداً في عبدة في ذلك الوقت يناقش الأمير زامل والمشايخ عن الغزو القادم وقد كانت فحفظان تقف نفسها في مأمن في وسط الصحراء من أي غزو في هذا الفصل الشديد الحرارة. وقد طلب من أهل عبدة أن يكونوا جاهزين للغزو عدداً وجهاز الأمير زامل 600 رجل. وكان مع مطير 300 رجل هذا بالإضافة إلى 200 رجل على حموضهم.